اذْهَبْ فاقتل أبَاكَ!!

حين قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً ، تلقّاه طلحة بن البراء رضي الله عنه ، وهو غلامٌ حَدَثٌ ، وصار يلصق بدنه بناقة رسول الله ﷺ ، ويُقبّل قدميه وهو يقول: يا رسول الله! مُرني بما أحببت ، لا أعصي لكَ أمراً.

فضحك لذلك رسول الله ﷺ ، وأُعجب به ، وقال له مداعباً: «اذهبْ فاقتل أباك» فذهب طلحة راكضاً ليقتل أباه كما طلب منه رسول الله ﷺ ، فدعاه ﷺ النبي وقال له: «إني لم أُبعث بقطيعة الرّحم».

ثم مرض طلحة بعد ذلك ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، وكان في شتاءٍ وبردٍ وغيم ، فقعد عنده رسول الله ﷺ ، ثم انصرف وهو يقول: «إني لأرىٰ طلحة قد حدث عليه الموت ، فإذا مات فآذنوني به حتىٰ أُصلّي عليه وعجّلوا».

فلم يبلغ رسول الله ﷺ ببني سالم ، حتىٰ توفي طلحة وجنّ عليه الليل ، وقال طلحة عند وفاته: إذا متُّ فادفنوني وألحقوني بربي ، ولا تدعوا رسول الله ﷺ ، فإني أخاف عليه اليهود ، وأن يُصاب بسببي!.

ففعلوا ذلك ، ثم أخبروا رسول الله ﷺ حين أصبح ، فجاء صلوات الله عليه ووقف علىٰ قبره ، وصفّ الناس ، ثم رفع يديه وقال: «اللهم الْقَ طلحة وأنت تضحك إليه ، وهو يضحك إليك»[1].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٢/٧٦٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ٣/٢٨٨.

أجل!

ما هذا التلاحم بين القائد وجنوده؟ وما هي هذه الرحمة يا رسول الله.. يا نبيّ الرحمة؟ لكن كيف لا يكون ذلك والله تعالىٰ قد حضّ المسلمين ـ وعلىٰ رأسهم الصحابة ـ علىٰ إلزام محبّة الحبيب ﷺ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكيف لا يكون موقف طلحة مع الحبيب ﷺ ـ هو والصحابة ـ وقد سمعوا منه: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

وكيف لا يكون حبّهم للحبيب ﷺ، وقد علموا أن ثواب محبته كبير جدّاً، مصداق ذلك ما رواه صفوان بن قدامة، قال: هاجرتُ إلىٰ النبي ﷺ فأتيتهُ، فقلتُ: يا رسول الله! ناولني يدك أبايعك، فناولني يده، فقلت: يا رسول الله! إني أحبّك، فقال: «المرء مع من أحبّ»[2].

عـذراً إليـك رسـول الله مـن كلمـي ... إن الكـريـم لـديـه العـذر مقبـولُ
إن لم يكـن منطقـي فـي طيبـه عسـلاً ... فـإنـه بمـديحـي فيـكَ معسـولُ
رجـوتُ غفـران ذنـبٍ مـوجـبٍ تَلَفـي ... لـه مـن النفـس إمـلاءٌ وتسـويـلُ
وليـس غيـركَ لـي مـولـىً أُؤمّلـه ... بعـد الإلٰـه وحسبـي منـك تـأميـلُ
ولـي فـؤاد محـبٌّ ليـس يُقنعـه ... غيـر اللقـاء ولا يشفيـه تعليـلُ
فـأنثنـي ويـدي بـالفـوز ظـافـرةً ... وثـوب ذنبـي مـن الآثـام مغسـولُ
دامـت عليـك صـلاة الله يكفلهـا ... مـن المهيمـن إبـلاغٌ وتـوصيـلُ

* * *

(١) صحيح مسلم: رقمه (٤٤).

(٢) رواه الطبراني (مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ٣٦٥).